فوائد وفرائد قرآنية

جزء قد سمع

اعداد

محمد بن خالد الخضير

خطيب جامع ابن حجر بالثقبة ومشرف تربوي

Khdair٩٠@yahoo.com

https://twitter.com/khdair٩٠

مقدمه

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه

أَمَّا بَعْدُ:

بين يديكم فوائد قرآنية من بعض الآيات من جزء قد سمع وأصلها دروس رمضانية كنت أقدمها بعد صلاة العصر في مسجد الصفا بالدمام (حي بترومين) في شهر رمضان المبارك من العام الهجري ١٤٣٦هـ، (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)، شهرٌ تضيقُ فيه منافذُ الشياطين، فتصفُو عبادةُ المرءِ لربه، ويلَذُّ الأُنسُ بكتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت: ٤٢]. إنه شهر القرآن الكريم، شهرُ الانكسار والمناجاة، شهرُ التدبُّر والاعتبار والخشية؛ لأن المرءَ بلا قرآن كالحياة بلا ماءٍ ولا هواءٍ، وهو بمثابة الروح للحياة، والنور للهداية. خيرُ جليسٍ لا يُملُّ حديثُه، وتَردادُه يزدادُ به المرءُ تجمُّلاً وبهاءً.

وقد أمرنا الله سبحانه بتدبره وتفهمه: (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب)

وقال : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)، (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

أسأل الله أن ينفع بها ويجعلها خالصة لوجهه ويجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل وخاصته.

محمد بن خالد الخضير

Khdair٩٠@yahoo.com

https://twitter.com/khdair٩٠

- السورة مدنية عدد آياتها ٢٢
- سبب تسميتها اما نسبة للمرأة التي جاءت تشتكي للنبي صلى الله عليه وسلم وهي خولة بنت ثعلبة أو للمجادلة التي حدثت .
- سبب النزول :

أخرج البخاري في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات -وفي رواية: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات- لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تجادله وتحاوره وأنا في ناحية البيت، لا أسمع ما تقول، ولا أدري ما تقول، حتى نزل قوله تعالى: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِير [المجادلة: ١]).

المجادِلة هي: خولة بنت ثعلبة و زوجها هو أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت

وكان في الجاهلية إذا قال قائل لزوجته: أنت علي كظهر أمي، يعد طلاقاً وفراقاً، فجاءت تشتكي -بعد هذه العشرة الطويلة مع زوجها- مقالة زوجها للنبي صلى الله عليه وسلم،

وراجعت النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك علها تجد رخصة من النبي صلى الله عليه وسلم في البقاء مع زوجها، فما وجدت شيئاً عند النبي صلى الله عليه وسلم، فاتجهت بشكواها إلى ربها سبحانه وتعالى، إلى الله أشكو حالتي، إلى الله أشكو ضعف قوتي، إلى الله أشكو فراق ابن عمي، واتجهت بشكواها إلى الله سبحانه وتعالى.

وهكذا ينبغي أن نكون، إذا انقطع رجاؤنا في البشر فلا ينقطع رجاؤنا في ربنا سبحانه وتعالى، فبابه مفتوح، وعنده خزائن كل شيء، ويجعل دائماً بعد العسر يسراً سبحانه وتعالى.

شكت المجادلة حالها إلى ربها سبحانه وتعالى، واستمع الله سبحانه وتعالى لشكواها كما نص على ذلك في هذه السورة الكريمة.

خولة بنت ثعلبة كان عمر يُجِلّها وقد جاء في الآثار: أن عمر كان في سفر مع بعض رجالات قريش وأكابر قريش، وفي بعض الروايات أنه خرج لبعض مغازيه فاعترضته امرأة في الطريق، فأوقفته طويلاً وخاطبته وهي عجوز، فقالت له: يا ابن الخطاب! قد كان يقال لك وأنت صغير: يا عمير! ثم قالوا لك: يا عمر! لما كبرت، ثم قالوا لك: يا أمير المؤمنين! فاتق الله يا ابن الخطاب! فإن من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب، وطال مقامها معه حتى عاتبه بعض رجال قريش، وقال: يا أمير المؤمنين! تحبس الجيش على امرأة عجوز مثل هذه، فقال له عمر : أتدري من هذه التي أوقفتني؟ إنها التي استمع الله إلى قولها من فوق سبع سماوات، ونزل في ذلك قرآن: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا [المجادلة:١]، أفيستمع ربنا سبحانه وتعالى إلى قولها ولا يستمع عمر إليها؟.

ثبوت صفة السمع والبصر لله، وتعزيز مبدأ المراقبة له سبحانه

(**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا**)، فهذه الآية مع غيرها من الآيات تعزز مبدأ مراقبة الله عز وجل، وعليك أن تعبد الله على هذا النحو، تعبده عبادة المحسنين، إن لم تكن تراه فإنه يراك، قال تعالى: الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [الشعراء:٢١٨-٢٢٠]، وقال سبحانه: قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ [النور:٦٤]، وقال جل شأنه: أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ [هود:٥] أي: وهم متغطون بثيابهم. يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [هود:٥]

وهذا المعنى قد لقنه لقمان لولده: يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ [لقمان:١٦والآيات في باب الحث على مراقبة الله سبحانه وتعالى لا تكاد تنتهي، قال تعالى: يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ [غافر:١٩]،

الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلا اللائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢)

الذين يُظاهرون منكم من نسائهم، فيقول الرجل منهم لزوجته: "أنت عليَّ كظهر أمي" -أي في حرمة النكاح- قد عصوا الله وخالفوا الشرع، ونساؤهم لَسْنَ في الحقيقة أمهاتهم، إنما هن زوجاتهم، ما أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم. وإن هؤلاء المظاهِرين ليقولون قولا كاذبًا فظيعًا لا تُعرف صحته. وإن الله لعفو غفور عمَّن صدر منه بعض المخالفات، فتداركها بالتوبة النصوح.

وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣)

والذين يحرِّمون نساءهم على أنفسهم بالمظاهَرة منهن، ثم يرجعون عن قولهم ويعزمون على وطء نسائهم، فعلى الزوج المظاهِر- والحالة هذه- كفارة التحريم، وهي عتق رقبة مؤمنة عبد أو أمة قبل أن يطأ زوجته التي ظاهر منها، ذلكم هو حكم الله فيمن ظاهر مِن زوجته توعظون به، أيها المؤمنون؛ لكي لا تقعوا في الظهار وقول الزور، وتُكَفِّروا إن وقعتم فيه، ولكي لا تعودوا إليه، والله لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وهو مجازيكم عليها.

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤)

فمن لم يجد رقبة يُعتقها، فالواجب عليه صيام شهرين متتاليين من قبل أن يطأ زوجه، فمن لم يستطع صيام الشهرين لعذر شرعي، فعليه أن يطعم ستين مسكينًا ما يشبعهم، ذلك الذي بيَّناه لكم من أحكام الظهار؛ من أجل أن تصدِّقوا بالله وتتبعوا رسوله وتعملوا بما شرعه الله، وتتركوا ما كنتم عليه في جاهليتكم، وتلك الأحكام المذكورة هي أوامر الله وحدوده فلا تتجاوزوها، وللجاحدين بها عذاب موجع.

فوائد:

- إن هذه الواقعة حلت مشكلة اجتماعية كانت موجودة فبل الإسلام قال ابن كثير: (كان الظهار عند الجاهلية طلاقا فارخص لهذه الأمة وجعل في الكفارة ولم يجعله طلاقا،كما كانوا يعتمدون في جاهليتهم وهكذا قال غير واحد من السلف).
- إن تقوى الله كفيلة أن تسيير أمور العائلة على خط مستقيم ، ومعلوم أنه لا يخلو بيت من مشاكل اجتماعية سواء كانت هذه المشكلة كبيرة أوصغيرة ،عندما تبدأ شرارة الخلاف بينهم فإنهم إن يتقوا الله فلا شك أنهم يجدون مخرجا (ومن يتق يجعله مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب).
- الطلاق له آثار سيئة وأبلغ وصف لذلك ما ذكرته خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها وهي تشكو تقول: نثرت له بطني، وأكل شبابي، ثم ظاهر مني، وتشكو حال الصبية إن ضمتهم إليها جاعوا، وإن دفعتهم إليه ضاعوا.
- أهمية حسن الخلق مع الأهل (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) قال ابن كثير: "أي: طَيِّبُوا أقوالكم لهن، وحَسّنُوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله". "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي"وقد ذكرت المجادلة في حديثه مع النبي صلى الله عليه وسلم عن زوجها أنه كان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه.
- الظهار فضلاً عن الأحكام الفقهية المترتبة عليه هو في نفسه إثم، لكونه قولاً منكراً وقولاً وزوراً.
- الدعوة إلى التوبة وعدم اليأس من رحمة الله (وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ [المجادلة:٢] وهذا التذييل لهذه الآية الكريمة مطرد في كتاب الله يفتح باب التوبة لكل مذنب، فكلما ذكرت كبيرة في كتاب الله وذكرت عقوبتها؛ ذيلت آياتها بفتح باب التوبة حتى لا يقنط شخص من رحمة الله،
- أهمية حفظ اللسان وعدم قول الكلام الباطل والزور.
- الله رؤوف بعباده حيث جعل إطعام الفقراء والمساكين كفارات للذنوب وماحية للآثام.

" إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين " ٥

إن الذين يشاقون الله ورسوله ويخالفون أمرهما خذلوا وأهينوا ، كما خذل الذين من قبلهم من الأمم الذين حادوا الله ورسوله، وقد أنزلنا آيات واضحات الحجة تدل على أن شرع الله وحدوده حق ، ولجاحدي تلك الآيات عذاب مذل في جهنم.

" يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد " ٦

واذكر- يا محمد- القيمة، يوم يحيي الله الموتى جميعا، ويجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيخبرهم بما عملوا من خير وشر ، أحصاه الله وكتبه في اللوح المحفوظ ، وحفظه عليهم في صحائف أعمالهم ، وهم قد نسوه والله على كل شيء شهيد ، لا يخفى عليه شيء.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة: ٧ - ١٠].

الآياتُ وهي تتكلم عن التناجي الذي يقصد به الكلام بالسر، وتتكرر هذه الآيات وتتوالى، حيث بدأ

بالخطاب مع النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ثم ثنى بخطابه مع المؤمنين مباشرة ، لِمَ كل هذا الاعتناء؟ لأنَّ صفة التناجي ليست من صفات المؤمنين إنَّما هي من صفات اليهود والمنافقين.

إذا رأوا مسلماً يمر من أمامهم، فيتناجون حتى يخيفوا ذلك المسلم، ويوهموه بأنهم يدبروا حوله مؤامرة، ويحوكوا حوله أخدوعة لعلهم يهلكوه بها، فكان المسلمون يحزنون لذلك فيجتنبون تلك الطرق؛ فنزلت هذه الآية تشتد على هؤلاء اليهود والمنافقين، وتبين للمؤمنين بأن هذا التناجي لا يضر مطلقاً إلا بإذن الله وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ فهم يتوكلون على الله، فيمنع الله عنهم ذلك الكيد وذلك العداء. قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه)

قال النووي –رحمه الله-: "في هذه الأحاديث النهي عن تناجي اثنين بحضرة ثالث، وكذا ثلاثة وأكثرهم بحضرة واحد وهو نهي تحريم، فيحرم على الجماعة المناجاة دون واحد منهم إلا أن يأذن"

والتناجي المحرم صورُه كثيرةٌ، منها:

١ – التكلم بلغةٍ لا يعرفها الشخصُ الثالث، فهذا تناجٍ واضح لا يجوز فعله.

٢ – الكتابة، مثل أن يكتب شخص لآخر ورقةً فيها بعض الكلمات، فيعطيها أمام الثالث، أو يرسل له بالجوال وهم في مجلس واحد.

٣ – الإشارات والرموز والحركات التي يفهمها طرفٌ واحد، فيبقى الطرف الآخر حزينًا لا يعرف ماذا يقصدون.

أما إذا كانا وحدهما ودخل ثالث، ففي هذه الحالة لا بُدَّ له أنْ يستأذنهما؛ عسى أن يكونَ بينهما كلامٌ خاصٌّ، وأمرٌ محصورٌ، فهذا ابن مسعود – رضي الله عنه – لَمَّا جاءه رجلٌ يريد أن يدخلَ بينه وبين رجل آخر، لَكَزَه في صدره، وقال له: "ألَمَ تسمع أنَّ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول: ((إذا كان اثنان يتناجيان، فلا تدخل بينهما))".

قال ابن عبدالبر – رحمه الله –: "لا يَجوز لأحدٍ أنْ يدخُلَ على المتناجِيَيْنِ في حال تناجيهما"

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)

يقول تعالى مؤدبا عباده المؤمنين ، وآمرا لهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس : (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس) وقرئ) في المجلس) (فافسحوا يفسح الله لكم) وذلك أن الجزاء من جنس العمل ، كما جاء في الحديث الصحيح : " من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة " ،" ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه "

قال قتادة : نزلت هذه الآية في مجالس الذكر ، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض .

قال العلماء : يفسح الله لكم في قبركم لحديث : ' يفسح للمؤمن في قبره مد بصره 'أو يفسح الله له في جنته أو يفسح الله له في رزقه.

{ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا } أي: ارتفعوا وتنحوا عن مجالسكم لحاجة تعرض، { فَانْشُزُوا } أي: فبادروا للقيام لتحصيل تلك المصلحة، فإن القيام بمثل هذه الأمور من العلم والإيمان، والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم الله به، من العلم والإيمان.

بعض آداب المجلس :

أولاً: **السلام عند الدخول إلى المجلس، وعند الخروج منه؛** فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة) صحيح الترغيب والترهيب(٢٧٠٧).

ثانياً: **أن لا يقيم الرجل أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه، بل يتفسحوا ويتسعوا**؛ قال عمر رضي الله عنه: "إن مما يصفِّي لك ود أخيك: أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسع له في المجلس"

ثالثاً: **إذا دخل الإنسان على جماعة فإن عليه أن يجلس حيث ينتهي به المجلس**؛ فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: "كنَّا إذا أتينا النبي صلى الله عليه وسلم جلس أحدنا حيث ينتهي"صحيح الترغيب والترهيب، (٣٠٧٠).

وجلوس الإنسان حيث انتهى به المجلس دليل على تواضعه، وبُعده عن الكبر والعجب.

رابعاً: **أن لا يفرق بين اثنين في المجلس**؛ إلا في حالة إذا أذنا له بالجلوس بينهما فلا بأس، وإذنهما يكون بالقول وبالفعل؛ وذلك بأن يقولا له تعال فاجلس هنا، أو بالفعل بأن يوسعان له ليجلس بينهما؛ قال عليه الصلاة والسلام: (لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما) صحيح الترغيب والترهيب، رقم(٣٠٧١).

خامساً: **أداء حق المجلس، من كف الأذى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**؛ فعن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (إياكم والجلوس في الطرقات)، قالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها؟ فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه)، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: (غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

سادسا: حفظ أسرار المجالس، وما ائتمنه عليه أصحابها، فإن إفشاء ذلك من الخيانة؛ يقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (إنما المجالس بالأمانة)

سابعا: **الإكثار من ذكر الله –تبارك وتعالى–**، والصلاة على النبي–صلى الله عليه وسلم–؛ فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (ما من قوم يقومون من مجلس، ولا يذكرون الله –تعالى– فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة) صححه الألباني.

ثامنا: **احترام الكبير وتوقيره، ورحمة الصغير والشفقة عليه،** فعن ابن عَبَّاس – رضي الله عنهما – يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ:« لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرِ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمِ الصَّغِيرَ وَيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ »، وعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: « إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ ».

ثامنا: **كفارة المجلس في ختام المجلس،** عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ »صححه الألباني في صحيح الترمذي.

- سورة الحشرة يطلق عليها سورة بني النضير، وبنو النضير طائفة من اليهود كانت تقطن جانباً من جوانب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقصة اليهود مع رسول الله هي قصة الغدر والخيانة قال الله عز وجل: أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون

وكان بالمدينة ثلاث قبائل من اليهود: بنو قينقاع ، وبنوالنضير ، وبنو قريظة، وكانوا يوقعون العداوة والبغضاء بين الأوس والخزرج، وكانوا يقولون لهم إن هذا أوان نبي، فإذا بعث فسوف نؤمن به ونقاتلكم معه، فلما بعث النبي آمنت الأوس والخزرج وصاروا أنصار رسول الله وكفرت يهود.

(ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)

ولما هجر النبي إلى المدينة عقد المعاهدات مع قبائل اليهود الثلاثة، ثم غدرت هذه القبائل ونقضت عهدها مع رسول الله واحدة تلو الأخرى، فأجلى بني قينقاع بعد غزوة بدر، وبني النضير بعد غزوة أحد وقتل قريظة بعد الأحزاب ثم كانت غزوة خيبر بعد صلح الحديبية.

- وافتتح الله –عز وجل– هذه السورة بالتسبيح: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}، واختتمها أيضاً بالتسبيح، لما ذكر الله جملة من أسمائه الحسنى ثم قال: {يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [سورة الحشر:٢٤]،

وذلك أن الله –جل جلاله– قد أخرج هؤلاء اليهود وهم في غاية التمكين والقوة ، أخرجهم بقوته وبأسه، وكان ذلك في غاية العدل منه والحكمة، حيث وضع الأمور في مواضعها وأوقعها في مواقعها.

- سبب النزول:

وذلك حينما جاءهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستعين بهم في دية قتيلين من بني عامر، كان بينهم وبين بني النضير عقد وحلف، فقالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، وجلس النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى جنب جدار من بيوتهم، فخلا بعضهم ببعض فقالوا ـ كما ذكر ابن هشام في سيرته ـ : " إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد، فمَنْ رجل يعلوا على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال : أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي ـ رضوان الله عليهم ـ ، فأتى رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الخبرُ من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً إلى المدينة " .

ثم أرسل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ محمد بن مسلمة إلى يهود بني النضير، يخبرهم بأن يخرجوا من المدينة ولا يساكنوا المسلمين، وأمهلهم عشرة أيام، فمن وُجِد بعد ذلك قُتِل .

فتأهبوا للخروج، ولكن المنافقين تدخلوا، وأخبروهم أنهم معهم ضد المسلمين، وأرسل إليهم عبد الله بن أبي بن سلول من يقول لهم : اثبتوا وتمنعوا، وإن قوتلتم قاتلنا معكم .وهنا عادت لليهود ثقتهم، واستقر رأيهم على المناورة، وطمع رئيسهم حيي بن أخطب فيما قاله رأس المنافقين، فبعث إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك .. وفي ذلك يقول الله تعالى: **{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ }**(الحشر:١١) .

فلما بلغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جواب حيي بن أخطب، كَبَّر وكبر أصحابه، ثم سار إليهم، يحمل لواءه علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بعد أن استخلف على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم ، وكانت غزوة بني النضير التي جرت أحداثها في السنة الرابعة للهجرة، **حيث فرض عليهم الحصار،**

ولجأ اليهود إلى الحصون، واحتموا بها، وأخذوا يرمون المسلمين بالنبل والحجارة، وكانت نخيلهم وبساتينهم عوناً لهم في ذلك، فأمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقطع بعضها وتحريقها.

وقد نزل القرآن الكريم بتصويب ما فعله رسول الله ـ صلى الله عليه سلم ـ، **{ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ }** (الحشر:٥) ..

ولم يطل الحصار، فقد دام ست ليال فقط، وقيل خمس عشرة ليلة، حتى قذف الله في قلوبهم الرعب فاندحروا واستسلموا، وأرسلوا للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يريدون الخروج من المدينة، فوافق ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أن يجليهم ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل إلا من السلاح ..

فخرج اليهود يجرون ذيول الخيبة والهزيمة، بعد أن خربوا بيوتهم، فكان الرجل منهم يهدم بيته حتى يخلع بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به .. فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام، وغنم المسلمون أرضهم وديارهم وأموالهم وأسلحتهم ..

فوائد من غزوة بني النضير:

١- من أهمية غزوة بني النضير وعظمها، أن تحدث القرآن الكريم عنها في سورة كاملة، وهي سورة الحشر، حتى سمَّى عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ سورة الحشر بسورة بني النضير. فعن سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: (سورة الحشر، قال: قل سورة بني النضير)(البخاري).

٢- الثناء على الله وتمجيده: ابتدأت السورة بالثناء على الله، (سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الحشر: ١].

واختتمها أيضاً بالتسبيح، لما ذكر الله جملة من أسمائه الحسنى ثم قال: {يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

لأنه العزيز، الذي قهر كل شيء، فلا يمتنع عليه شيء، ولا يستعصي عليه عسير، ومن ذلك نصره لرسوله صلى الله عليه وسلم على الذين كفروا من أهل الكتاب، من بني النضير حين غدروا برسوله، فأخرجهم من ديارهم وأوطانهم.

٣- ظهرت صفات الغدر والخيانة المتأصلة في نفوس اليهود، وتلك حقيقة تاريخية صدَّقَّها الواقع إلى يومنا هذا، وذلك سر لعنة الله التي حاقت بهم،: { لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ }(المائدة:٧٨.

٤- أن من طبائع وصفات اليهود والمنافقين الخوف والجبن، قال تعالى: { لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ }(الحشر:١٤)وفي ذلك تعريف للمؤمنين بحقيقة اليهود وصفاتهم، وتشجيعهم على قتالهم، وتبشيرهم بالنصر عليهم.

٥- أكدت غزوة بني النضير وغيرها من أحداث سيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعد الله لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحفظه وحمايته، في قوله تعالى: { وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ }(المائدة: من الآية٦٧)، فقد أخبره الله بما يدبره اليهود لقتله، ومن ثم ففي هذه الآية والمعجزة وغيرها، ما يجب أن يحمل الناس على الإيمان بنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ..

٦- أن الله ـ عز وجل ـ هو الذي أخرج يهود بني النضير من ديارهم، في حين أن كل الأسباب المادية كانت معهم حتى اعتقدوا أنه لا أحد يستطيع أن يخرجهم من حصونهم لمتانتها وقوتها، لكن الله فاجأهم من حيث لم يحتسبوا، وجاءهم من قلوبهم التي لم يتوقعوا أنهم يهزمون بها، فقذف فيها الرعب، فإذا بهم يهدمون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين،

٧- تربية الأفراد والأمة على أن النصر من الله ـ عز جل ـ، وربط الأحداث بفاعلها الحقيقي وهو الله رب العالمين، وبيان أن جنود الله كثيرة لا يعلمها أحد إلا الله، قال الله تعالى:{ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُو }(المدثر: من الآية٣١)،{ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ

الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ }(الحشر:٢)

٨- المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله فمن غدر فإن مكره سينقلب عليه في النهاية فهؤلاء اليهود أرادوا قتل الرسول صلى الله عليه وسلم والقضاء عليه فقضوا على أنفسهم واهلكوا أنفسهم.

٩- بيان حال المنافقين وكشف العلاقة الوطيدة بينهم وبين أهل الكتاب من اليهود والنصارى حتى أن الله سبحانه وتعالى سماهم إخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب .

١٠-حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم و تصرفه في المواقف الحرجة حين تبين له غدر اليهود وأوحى الله له بذلك فإذا به ينصرف في هدوء تام وسكينة بالغة لا تشعر أحداً بتغير ولا نية في الأمر الذي سيقدم عليه.

١١-لما تم جلاء بني النضير وخلفوا وراءهم من المال والعتاد ما خلفوا . . قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين دون الأنصار . إلا رجلين من الأنصار فقط . رأى رسول الله فقرهما فاشركهما في القسم وهما سهيل بن حنيف وأبو دجانه وفي هذا التقسيم ملمح شرعي مفاده أن أموال العدو التي حصل عليها المسلمون بغير قتال وهو ما يسمى بالفئ لها حكم آخر غير حكم الغنيمة التي تأتي بعد حرب وقتال وأن الفئ فيه سعة أمام القائد في تقسيمه حسب ما يراه وحسب حاجة الجند ، أما الغنيمة فقد تولى الله تقسيمها في سورة الأنفال في قوله تعالى :(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الأنفال:٤١)

سورة الحشر ٣

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [الحشر:١٨]

(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**) نداء تشريف وتكليف لأنهم يمتثلون أوامر الله بمقتضى إيمانهم بالله عز وجل.

(**اتَّقُوا اللَّهَ**) أمرهم بأمرين الأمر **الأول**: فيما بينهم وبين الله وذلك بتقواه سبحانه وتعالى (اتَّقُوا اللَّهَ) أي: أجعلوا بينكم وبين غضب الله وقايةً تقيكم منها، وتقيكم من عذاب الله، وذلك بفعل أوامره وترك ما نهى الله عنه هذه هي الوقاية التي تقي من عذاب الله، **ثم أمرهم لأنفسهم** فقال: (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) فلتنظر كل نفس ما قدمت لغد من العمل والمراد بالغد يوم القيامة، سماه الله غداً لقربه لأنه قريب كل ما هو أتٍ قريب، وإن غداً لناظره قريب، ما أقربه من كل عبد بموته، وانتقاله إلى الدار الآخرة، وما أقربه من الجميع بقيام الساعة: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً)، فكروا في أعمالكم، حاسبوا أنفسكم فإنكم لستم على حد إقامة، وإنما أنتم على أهبت سفر، فانظروا ما معكم من العمل لهذا السفر (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) تزودوا للآخرة بالتقوى (فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)، انظروا في أعمالكم فما كان منها صالحاً فاحمدوا الله عليه وازدادوا منه وداوموا عليه، وما كان منها سيئاً وما أكثره فاستغفروا الله وتوبوا إليه، فإن الله يغفر لمن تاب

(وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) **حاسب نفسك يا أخي، بعض الناس ينظر إلى عيوب الناس ولا ينظر إلى عيبه** فيتحدث عن الناس فلان مقصر وفلان....

(**وَاتَّقُوا اللَّهَ**) تأكيد على الأمر بتقوى الله،(**إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**) هذا الختام يعظم مراقبة العبد لربه، وينبغي أن يكون العبد على هذه الحال من المراقبة، وهي مرتبة الإحسان التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)

مفهوم التقوى

ذكرت مادة التقوى في القرآن الكريم (٢٥٨ مرة)

سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُبَيا عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقا ذا شوك ؟ قال:نعم،قال: فما عملت فيه؟ قال: تشمرت وحذرت، قال : فذاك التقوى.

خلِّ الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى

واصنع كماشٍ فوق أر ض الشوك يحذرُ ما يرى

لا تحقرنَّ صغيرةً إن الجبال من الحصى

وعرّف علي بن أبي طالب رضي الله عنه التقوى فقال: هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل.

وقال ابن مسعود رضي اللع عنه في قوله تعالى: ((اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)) (تقوى الله أن يُطاع فلا يُعصى، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر)

وقال طلق بن حبيب: (التقوى: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله. وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله)

والتقوى وصية الله للأولين والآخرين، قال – تعالى –: ((وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ)) النساء ـ ١٣٢.

وهي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وكان صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا

عن أبي ذر أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ((اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)).

والنبي صلى الله عليه وسلم كان يسألها في دعائه فيقول : ((اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى))رواه مسلم

وفي دعاء السفر يقول: ((اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى)).

يقول الله – سبحانه وتعالى –:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** [البقرة: ١٨٣]، فالصيام من أكبر أسباب التقوى؛ لأن فيه امتثالَ أمرِ الله – تعالى – واجتناب نهيه،

آثار التقوى:

والتقوى هي أجمل لباس يتزين به العبد: ((يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ)) الأعراف ٦٢.

إ ذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى *** تقلب عريانا وإن كان كاسيا

وخير لباس المرء طاعة ربه *** ولا خير فيمن كان لله عاصيا

وبها الطريق الى الجنة فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم ما أكثر ما يدخل الناس الجنة قال((تقوى الله وحسن الخلق))رواه احمد

سبب لتيسير العسير قال الله — تعالى –: ((وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً"))التغابن

وتقوى الله – تعالى – **سبب لتفريج الكروب** وإيجاد المخارج والحلول عند نزول الخطوب وهي سبب لفتح سبل الرزق قال الله – تعالى -: ((مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ)) الطلاق

فتقوى الله **سبب لنجاة العبد من الهلاك والعذاب والسوء** قال – تعالى -: ((وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ"))الزمر

وهي **سبب لتكفير السيئات ورفع الدرجات** والفوز بالغرف والجنات قال – تعالى -: ((وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً))

حفظ للأبناء بعد الوفاة (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً) ، (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) ان الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده و ولد ولده و قريته التي هو فيها .

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الحشر: ٢١].

أي من شأنه وعظمته وجودة ألفاظه وقوة مبانيه وبلاغته واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب أنه لو أنزل على جبل لرأيته مع كونه في غاية القسوة وشدة الصلابة وضخامة الجرم خاشعا متصدعا : أي متشققا من خشية الله سبحانه حذرا من عقابه وخوفا من أن لا يؤدي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله ، وهذا تمثيل وتخييل يقتضي علو شأن القرآن وقوة تأثيره في القلوب

{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}

وقد ثبت في الحديث المتوات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عمل له المنبر ، وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد ، فلما وضع المنبر أول ما وضع ، وجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر ، فعند ذلك حن الجذع وجعل يئن كما يئن الصبي الذي يسكن ، لما كان يسمع من الذكر والوحي عنده . قال الحسن البصري " فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الجذع "

سؤال نطرحه على أنفسنا عند تلاوتنا ، أو سماعنا لكتاب الله ، لماذا لا نتأثر بالقرآن ؟

{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤].

(أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً)

(كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ) [ص٢٩] .

ولما نزل هذا القرآن كان له الأثر الكبير حتى في نفوس المشركين، فقد جعل بعضهم يستمع إليه خلسة، ويعترف بأنه يعلو ولا يعلى، وكذلك سمعته الجن فعلموا أنه عجب فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا [سورة الجن١]

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : اقرأ علي القرآن قلت: يا رسول الله أقرأ عليك، وعليك أنزل ؟ قال:(إني أحب أن أسمعه من غيري) فقرأت عليه سورة النساء، حتى جئت إلى هذه الآية(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً)قال:(حسبك الآن) فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان. متفق عليه

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: لما اشتد برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وجعه قيل له في الصلاة قال: "مروا أبا بكر فليصل بالناس"، فقالت عائشة -رضي الله عنها-: إن أبا بكر رجل رقيق، إذا قرأ القرآن غلب عليه البكاء، فقال -صلى الله عليه وسلم-: "مروه فليصلِّ بالناس". رواه البخاري ومسلم.

وفي ترجمة عمر -رضي الله عنه- أنه كان في وجهه خطان من البكاء، سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يتهجد في الليل ويقرأ سورة الطور فلما بلغ إلى قوله تعالى { إن عذاب ربك لواقع ، ما له من دافع } قال عمر : قسم ورب الكعبة حق، ثم رجع إلى منزله فمرض شهرا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه .

عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، كَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي رَمَضَانَ، وَمِنْ مَأْثُورِ قَوْلِهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُكُمْ مَا شَبِعْتُمْ مِنْ كَلَامِ رَبِّكُمْ" وَوَدَّعَ دُنْيَاهُ قَتِيلًا، وَسَقَطَ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ وَالْقُرْآنُ بَيْنَ يَدَيْهِ

وقرأ ابن عمر -رضي الله عنهما- سورة المطففين حتى بلغ قوله تعالى: (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [المطففين: ٦]، فبكى حتى خرّ وامتنع عن قراءة ما بعدها.

قال عبدالله بن عروة ببن الزبير : قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعوا القرآن ؟ قالت : (تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله) .

أسباب قسوة القلب:

١- الغفلة عن ذكر الله وتدبر القرآن:قال تعالى: وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى

٢- كثرة المعاصي:عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه، وإن زاد زادت، حتَّى يعلو قلبه ذاك الرَّان الذي ذكر الله عزَّ وجلَّ في القرآن: كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

قال عبد الله بن المبارك:رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذُّل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

٣- التفريط في الفرائض وانتهاك المحرمات:

قال الله تعالى: فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً [المائدة

٤- الانشغال بالدنيا والانهماك في طلبها والمنافسة عليها.

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ

إبراهيم الخليل عليه السلام، وصفه ربنا عز وجل بأحسن المحامد وأعظم الصفات وأكرم الأخلاق، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١]، وقال عنه: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾، وقال:﴿ سلام على إِبْرَاهِيمَ *كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات: ٧٩ – ٨١]، وقال: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً ﴾ وقال عز وجل: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ بل جعله الله خليله فقال: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾.

وأفضل الأنبياء على الإطلاق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والذي يليه في الفضل والمرتبة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام،

قصَّة إبراهيم عليه الصلاة والسلام من أروع القصص القرآني التي تحتوي على دروس خالدة وحكم كثيرة

دعوة إبراهيم أباه للتوحيد

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤١ – ٤٥].

لم يبدأ إبراهيم بالحديث عن غزارة علمه، أو قوة حجته، وإنما تكلم بهذا النداء يا أبت، المنطوي على غاية التواضع لهذا الأب لعله يهتدي، كما أنه لم يصف أباه بالجهل ونفسه بالعلم هكذا تكون الدعوة مع كبار السن، ومع الآباء والأجداد، التلطف والرفق، وإدخال عامل العاطفة والحنان، والمناشدة، والنداء،

إلا ان ابراهيم قابل هذه القسوة بأن قال له : "سلام عليك" وزاده خيرًا فقال : " سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا " أي: فإن الله لطيف بي رحيم رؤوف بحالي، معتنيا بي . وقد أوفى بوعده فقال : " واغفر لأبي إنه كان من الضالين"

ولكن لما تبين لابراهيم عليه السلام ان اباه عدو لله ولدينه تبرأ منه، قال عز وجل : " وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاّ عَن مّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيّاهُ فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ أَنّهُ عَدُوّ للّهِ تَبَرّأَ مِنْهُ إِنّ إِبْرَاهِيمَ لأوّاهٌ حَلِيمٌ"

" قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء "

فيه استثناء الاقتداء بإبراهيم عليه السلام في استغفاره لأبيه وقد كان كافرا عدوا لله عز وجل.

وروى الامام البخاري في صحيحه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :" يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة ، وعلى وجه آزر قترة وغبرة ، فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصني ، فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون ، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد ؟ فيقول الله تعالى : إني حرمت الجنة على الكافرين ، ثم يقال : يا إبراهيم ، ما تحت رجليك ؟ فينظر ، فإذا هو بذيخ متلطخ ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار"

(وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)الانبياء

ابتدأ بالدعوة مع قومه بأن قال لهم متعجبا من جهلهم : ما هذه التماثيل التي أنتم معتكفون عندها وخاضعون لها؟! تصرفون لها من أنواع العبادة ما لا يحق صرفه إلا الى الله تعالى؟! فما كان حجتهم إلا صنيع الآباء والأجداد،

وقال في سورة الشعراء: (**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**)

فقال لهم مبينا ما كان عليه الاباء من الضلال والشرك برب السماء :"لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"

(قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ)

يقولون: هذا الكلام الذي تقوله لنا، وتنتقص به آلهتنا، وتطعن بسببه في آبائنا تقوله محقًّا جادًا فيه أم لاعبًا مستهزءا؟فردّ عليه عليه الصلاة والسلام ردّا يرتجف له قلب المؤمن وجلا وتعظيما ،" قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ "

(وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا

فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أأنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ

) سورة الانبياء

فعمدوا إلى بنيان قد بنوه لإحراق ابراهيم عليه السلام فأضرموا فيه النار، وجاؤوا بابراهيم عليه السلام يسوقونه ثم ألقوه في النار وهو يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل كما روى البخاري عن ابن عباس أنه قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار. وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قيل له: " إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ "فأمر الله عز وجل النار التي هي جند من جنوده ان تكون على خليله بردا وسلاما فلم تمسسه بمكروه ولم ينله منها أذى فكادهم الرب جل جلاله وأعلى كلمته، ودينه ونجّى خليله ابراهيم عليه الصلاة والسلام ونصره قال عز وجل " قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ" قال ابن كثير رحمه الله كلام نفيس في ذلك : فأرادوا أن ينتصروا فخُذلوا، وأرادوا أن يرتفعوا فاتّضعوا، وأرادوا أن يغلبوا فغُلبوا ففازوا بالخسارة والسّفال،هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فإن نارهم لا تكون عليهم بردًا ولا سلامًا ،ولا يلقّون فيها تحية ولا سلامًا ،بل هي كما قال تعالى: " إنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرًا وَمُقَامًا".

كان إبراهيم عليه السلام رجلاً أوتي حجة من الله، مؤيداً بالوحي، ينطق لسانه بالحق والحكمة، فبدأ في مناظرة قومه، **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ** [سورة الأنعام٧٥] فهو من المؤمنين، هو من المسلمين، لم يشرك إبراهيم قط، **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ والقوم موجودون حضور شهود رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ** [سورة الأنعام٧٦ فكيف أتخذ رباً يأفل، **فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** [الأنعام٧٧-٧٨] ، كانوا يعبدون الأصنام والأوثان، فأراد بهذه الطريقة الذكية أن يستدرجهم بالكوكب والقمر والشمس إلى إقامة الحجة عليهم، والقوم يشاهدون هذه الظاهرة، وقال إبراهيم في نهاية كلامه **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ*** **وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ** [سورة الأنعام٧٩-٨٠] ، خوفوه بالآلهة، خوفوه بالأنداد والأصنام، ولكن إبراهيم يقول: **وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْلم يخلطوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍبشرك أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** [سورة الأنعام٨١-٨٢] ، أقام عليهم الحجة فأفحمهم وأسكتهم، ولذلك قال الله: **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** [سورة الأنعام٨٣] ، ولا يجوز -أيها الإخوة- الاعتقاد بأي حال من الأحوال أن إبراهيم كان مشركاً، أو أنه كان لا يعرف ربه، أو أنه كان محتاراً شاكاً، فهذا قول الضلال، فإن إبراهيم موحد، وإن هذه طريقة للدعوة، وللاستدراج، وللإقناع، والتنزل مع الخصم،

مناظرة ابراهيم للنمرود:

يذكر تعالى مناظرةَ خليله مع هذا الملك الجبار المتمرد، الذي ادَّعى لنفسه الربوبية؛ فأبطل الخليل عليه السلام دليله، وبيَّن كثرة جهله وقلة عقله، وألجمه الحجة، وأوضح له طريق المحجة، قال ابن كثير: وقد ذكر السدي أن هذه المناظرة كانت بين إبراهيم ونمروذ بعد خروج إبراهيم من النار، ولم يكن اجتمع بالملك إلا في ذلك اليوم فجرت بينهما هذه المناظرة.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ، ألم ترى إليه هذا الحقير، ألم ترى إليه تتعجب منه ومن حاله وغروره **أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ،** بدلاً من أن يشكر هذه النعمة إذا به يكفر ويشرك أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ، بدلاً من أن يشكر نعمة الملك إذا به يدعي أنه رب،

أن النعم قد تكون سببًا للطغيان؛ لأن هذا الرجل ما طغى وأنكر الخالق إلا لأن الله آتاه الملك؛ ولهذا أحيانًا تكون الأمراض نعمة من الله على العبد، والفقر والمصائب تكون نعمة على العبد؛ لأن الإنسان إذا دام في نعمة، وفي رَغَدٍ، وفي عيش هنيءٍ، فإنه ربما يطغى، وينسى الله عز وجل.

ويقول إبراهيم أمامه: **إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ** بكل صلافة ووقاحة، أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ فيأخذ رجلاً ويقتله وآخر حكم عليه بالقتل فيعفو عنه ويقول: أحييته، فلما يرى الداعية الحصيف أن هناك مجال للطاغية، أو للفاسق والفاجر في المناقشة في أمر الحق فيه واضح، ولكن يريد أن يرد، ينتقل إلى أمر لا يمكن فيه أن يرد، قَالَ إِبْرَاهِيمُ **فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ،** دهش وتحير واضطرب وتغير، وأسقط في يده، فماذا عساه أن يقول الآن؟ **فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** [سورة البقرة٢٥٨] ، هكذا قام إبراهيم لله بالحجة على هذا الطاغية

(وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ(٦٩)فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ(٧٠))

إن إكرام الضيف من مكارم الأخلاق، وجميل الخصال التي تحلَّى بها الأنبياء، وحثَّ عليها المرسلون،واتصف بها الأجواد كرام النفوس، فمَنْ عُرِفَ بالضيافة عُرِف بشرف المنزلة، وقد حثَّنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على إكرام الضيف؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفَه" [رواه البخاري ومسلم].

ففي هذا ثناء على إبراهيم من وجوه متعددة كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله يقول:أولاً: أنه **وصف ضيفه بأنهم مكرمون**، وهذا من إكرام الله تعالى للملائكة على قول، والقول الثاني: إكرام إبراهيم لضيوفه

ثانياً: قال تعالى: **إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ** فلم يذكر استئذانهم ففي هذا دليل على أنه عليه السلام كان معروفاً بإكرام الضيفان، فمنزله مطروق وبابه مفتوح ولا يحتاج إلى استئذان أحد فيدخلون مباشرة،

ثالثاً: قوله: (سلامٌ) فإبراهيم حياهم بتحية أحسن من تحيتهم فإن قوله سلامٌ أي: عليكم، دالٌ على الثبوت.

رابعاً: أنه راغ إلى أهله ليجيئهم بالنزل وهي الكرامة، والروغان هو: الذهاب باختفاء، بحيث لا يشعر به الضيف وهذا من كرم رب المنزل -المضيف- أن يذهب باختفاء حتى لا يشق على الضيف ويستحي فلا يشعر الضيف إلا وقد جاءه بالطعام، بخلاف من يسمع ضيفه ويقول لمن حضر: مكانكم حتى آتيكم بالطعام، فحفظ مشاعر الضيف من إكرامه، وعدم إحراجه أيضاً من إكرامه.

خامسا: أن إبراهيم ذهب إلى أهله فجاء بالضيافة، وذلك معناه أنه كان بيته مستعداً للإكرام ولم يذهب إلى السوق ليشتري أو يذهب إلى الجيران ليستعير

سادسا:أنه جاء بعجلٍ كامل ولم يأت ببعض منه، وهذا من تمام كرمه، فلم و أنه سمين وليس بهزيل، ومعلوم أن ذلك من أفخر أمواله، يذبح العجل الصغير وهذا إكرام متناهي؛ لأن العجل الصغير عادة يتخذ للاعتناء والتربية ولكن آثر به ضيفانه وجاءهم بهذا الصغير ذا اللحم الطري لأجل إكرامهم.

سابعا:: أنه قربه بنفسه ولم يقل للخدم قربوه أنتم أو قرب المائدة يا غلام، وإنما قربه هو ولم يأمر خادمه بذلك.

ثامنا: أنه قربه إليهم ولم يقربهم إليه، وهذا أبلغ في الكرامة أن تجلس الضيف ثم تأتي له بالطعام إليه وتحمله إلى حضرته ولا تضع الطعام في ناحية ثم تأمر ضيفك أن يقترب إليه، طبعاً الآن في البيوت هذا قد يكون شبه متعسر؛ لأن الألوان كثيرة فسيأتي بهذا وبهذا ويضعونه ويجهزونه ثم يقول للضيوف: ادخلوا، لا حرج في ذلك وهو من الإكرام على أية حال وليس ضد الإكرام، لكن إذا جيء به وسيق به إليهم أفضل وأحسن..

تاسعا: أنه قال: ألا تأكلون؟! فاستخدم أسلوب العرض وهذا تلطف، وهو أحسن من أن يقول: كلوا مدوا أيديكم؟ مالكم لا تمدوا أيديكم؟ نحن أتينا به لمن؟ قال: ألا تأكلون؟

أحادث ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي والمكان جديب

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا *** نحن الضيوف وأنت رب المنزل

عاشرا: أنهم لما امتنعوا من الأكل من طعامه وخاف منهم لم يظهر لهم ذلك الخوف، أوجس منهم خيفة وأخفاه لكن الملائكة علمهم الله قالوا: لا تخف وبشروه بالغلام،

قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ(٧٠)وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ(٧١)قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ(٧٢)قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ(٧٣)فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ(٧٤)إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ(٧٥)يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ(٧٦)}.

أي وامرأة إبراهيم واسمها "سارة" قائمة وراء الستر تسمع كلامهم فضحكت استبشاراً بهلاك قوم لوط { فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} أي بشرتها الملائكة بإسحاق ولداً لها ويأتيه مولودٌ هو يعقوب ابناً لولدها

سورة الصف ١

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ }

أي: لم تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به ومتصفون به.

فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه،

قال تعالى: { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ } وقال شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه: { وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه } .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يؤتى بالرجل من أهل النار يوم القيامة، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه -أي: تخرج أمعاؤه من بطنه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه- فيطيف به أهل النار ويكونون من حوله، ثم يسألونه: يا فلان! ما لك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟! فيقول: بلى، ولكني كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه).

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ المعَلِّمُ غَيْرَه   هَلاَّ لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ

تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَا   كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ

فَابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا   فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ

فَهُنَاكَ تَعْدِلُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى بِالقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

- النبي –صلى الله عليه وسلم– كان خلقه القرآن، ما معنى كان خلقه القرآن؟ يعني كان يعمل بالقرآن، كان يسير بهذا القرآن بين الناس، كان يسير وفق هذا القرآن في حياته،
- كان الصحابة يستعينون على التعلم وعلى حفظ القرآن بالعمل به، ولا يجاوزون عشرة آيات حتى يعملوا بما فيها،
- والإنسان لا تزول قدماه يوم القيامة حتى يسأل عن أمور ومنها : ماذا عملت فيما علمت؟ وكانمن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع)
- الإمام أحمد–رحمه الله– لما ألف المسند، وضع فيه أربعين ألف حديث قال: "ما من حديث إلا وعملت به، ولو مرة.
- ذكر الله وصفًا معيبًا في كتابه لليهود **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** [الجمعة:٤] ما بال الحمار الذي يحمل أسفارًا؟ لا يفقه ولا يعمل.
- عندما ترشد أهلك، وتعلم أولادك، وتكون قدوة لأسرتك تكون بالكلام دون فعل فإن هذا يخل، والكلمة تنبعث ميتة من الفم حتى يصدقها الفعل فتسري فيها الروح، ولا يكون القدوة قدوة حتى يعمل بما علم وبما يقول.
- هذه أبيات جميلة جداً يعظ بها أبٌ مشفق ابنه، كناه بأبي بكر، يقول له:

أبا بكر دعوتك لو أجبت　　إلى ما فيه حظك لو عقلت
إلى علمٍ تكون به إماماً　　مطاعاً إن نهيت وإن أمرت
ويجلو ما بعينك من غشاها　　ويهديك الصراط إذا ضللت
وتحمل منه في ناديك تاجاً　　ويكسوك الجمال إذا اغتربت
وإن أوتيت فيه طول باعٍ　　وقال الناس أنك قد سبقت
فلا تأمن سؤال الله عنه　　بتوبيخٍ علمت فهل عملت

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) [الجمعة:٩- ١٠]

لقد سميت هذه السورة بسورة الجمعة برهاناً على عظم يوم الجمعة، وأنه ينبغي للمسلمين أن يتفرغوا فيه لذكر الله سبحانه.

فإن الله تبارك وتعالى قد خص يوم الجمعة بخصائص عدة وما ذلك إلا لأهميته وفضله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة)) رواه مسلم.

وقال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم –: ((أضَلَّ اللهُ عن الجمُعة مَن كان قبْلنا، فكان لليهود يومُ السَّبت، وكان للنَّصارى يومُ الأحد، فجاء اللهُ بنا، فهدانا ليوم الجمُعة، فجعل الجمُعةَ والسَّبت والأحد، وكذلك هم تبعٌ لنا يومَ القيامة، نحن الآخِرون من أهلِ الدُّنيا، والأوَّلون يوم القيامة، المقضيُّ لهم قبل الخلائقِ)) رواه البخاري ومسلم

وليوم الجمعة من المزايا والفضائل و الخصائص الشيء الكثير منها :

- ومن خصائص هذا اليوم الشرعيَّة أن فيه صلاة الجمعة التي دلَّ الكتاب والسنَّة على فرضيتها وأجمع المسلمون على ذلك،(اذا نودي للصلاة ...

وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لينتهينّ أقوام عن تركهم الجمعات أو ليختمنّ الله على قلوبهم فلَيكوننَّ من الغَافلين»مسلم، وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «مَن ترك ثلاث جُمَع تهاونًا طبعَ الله على قلبه»

- **استحباب كثرة الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم** في يوم الجمعة وليلتها والدليل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: ((أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة وليلة

الجمعة، فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه عشراً))، ((إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ))

- استحباب الاغتسال و التطيب ولبس أحسن الثياب و التبكير إلى الصلاة، والاشتغال بالصلاة النافلة، والذكر، وقراءة القرآن؛ حتى يخرج الخطيب للخطبة، ووجوب الإنصات للخطبة لحديث أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من غسل يوم الجمعة واغتسل، ثم بكر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ؛ كان له بكل خطوة عمل سنة، أجر صيامها وقيامها)) صحيح أبي داود رقم(٣٣٣)

((من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب إن كان عنده، ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع إن بدا له، ولم يؤذ أحداً، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي؛ كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى))«إذا كان يومُ الجمعَةِ كان على كل بَابٍ من أَبوَابِ المسجد ملائِكةُ يكتُبُون الأوَّل فالأولَ، فإذا خرج الإمامُ أو قال: إذا جلسَ الإمامُ طووا صُحُفَهم وجاؤوا يستمعُونَ الذِّكْر»

- أن فيه ساعة يجيب الله فيها الدعاء فقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال: ((فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه))

أرجح الأقوال في ساعة الإجابة يوم الجمعة قولان : أحدهما : إنها بعد العصر إلى غروب الشمس والثاني : أنها من حين يجلس الإمام على المنبر للخطبة يوم الجمعة إلى أن تقضي الصلاة ، فالدعاء في هذين الوقتين حري بالإجابة .

- فضل قراءة سورة الكهف يومَ الجمعة أو ليلتها عن أبي سعيد الخدري أنه قال: ((مَن قرأ سورةَ الكهف ليلةَ الجمعة، أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق))؛ رواه الدارمي وصححه

الشيخ الألباني.وعن أبي سعيد الخدري: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة، أضاء له من النور ما بين الجمعتين))؛ "صحيح الجامع".

وبناء على النصوص الثابتة السابقة يكون وقت قراءة سورة الكهف من غروب شمس يوم الخميس إلى غروب شمس يوم الجمعة،.

- أنها لا تُجمع مع العصر ولا يُجمع العصر معها؛ لأنها صلاة مستقلّة منفردة بأحكام خاصة.
- أن الوفاة يوم الجمعة أو ليلتها من علامات حسن الخاتمة حيث يأمن المتوفى فيها من فتنة القبر، فعَنْ عَبْدِ الله بنِ عَمْرٍو ، قالَ: قالَ رسُولُ الله : «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمعَةِ إلا وَقَاهُ الله فِتْنَةَ الْقَبْرِ» . (رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني)
- إذا نودي للصلاة أي صلاة الجمعة فيحرم السفر على من تلزمه الجمعة؛
- يحرم البيع والشراء يوم الجمعة إذا أذن المؤذن عند جلوس الإمام على المنبر
- النهي عن تخطي رقاب الناس، أو المرور بين أيديهم، إلا أن يرى فرجة فيأوي إليها، ويجلس حيث ينتهي الصف، ولا يفرق بين إثنين ليجلس بينهما، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى؟ رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالنَّبِيُّ يَخْطُبُ، فَقَالَ النَّبِيُّ : «؟جْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ وَآنَيْتَ».
- ومن سننهما أن يخطب قائما ؛ لفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولقوله : وَتَرَكُوكَ قَائِماً ؟(الجمعة:١١) وعمل المسلمين عليه .
- أن من دخل المسجد والإمام يخطب ؛ لم يجلس حتى يصلي ركعتين يوجز فيهما.
- وليس للجمعة سنة قبلية راتبة ، ولكن يشرع الإكثار من التنفل المطلق قبلها ، ويُسَنُّ أن يصلي بعدها أربعاً في المسجد أو اثنتين في بيته .
- ويَحرُم الكلامُ والإمام يخطُب: لقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((إذا قلتَ لصاحبِك يوم الجمعةِ: أنصِتْ، والإمامُ يخطُب، فقد لغَوْتَ

سورة المنافقون من السور المدنية التي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، والنفاق لم يكن موجوداً بمكة، إنما نشأ النفاق بالمدينة لما قويت شوكة المسلمين فيها، وقد ذكر الله تعالى في هذه السورة جملة من صفاتهم وأخلاقهم وما فعلوه مع النبي صلى الله عليه وسلم، حتى نحذر منهم ومن أن نكون مثلهم. والمنافقون أضر على الإسلام من ذوي الكفر الصريح ولهذا أنزل الله تعالى فيهم سورة كاملة كان من هدي النبي، صلى الله عليه وسلم، أن يقرأ بها في صلاة الجمعة، لإعلان أحوال المنافقين والتحذير منهم في أكبر جمع أسبوعي وأكثره وقال فيها عن المنافقين: (هم العدو فاحذرهم)

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١)

إذا حضر مجلسك قالوا بألسنتهم، نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم إنك لرسوله الله، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما أظهروه من شهادتهم لك، وحلفوا عليه بألسنتهم، وأضمرا الكفر به.

اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢)

إنما جعل المنافقون أيمانهم التي أقسموها سترة ووقاية لهم من المؤاخذه، والعذاب، ومنعوا أنفسهم، ومنعوا الناس عن طريق الله المستقيم، إنهم بئس ما كانوا يعملون

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣)

ذلك لأنهم آمنوا في الظاهر، ثم كفروا في الباطن، فختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم، فهم لا يفهمون ما فيه صلاحهم. الطبع والختم بمعنى متقارب، فيكون القلب في حال لا يدخل إليه موعظة ولا تذكير ولا ينتفع بآيات الله، ولذلك يجلسون في مجلس النبي –صلى الله عليه وسلم– وتنزل الآيات وإذا خرجوا قالوا: مَاذَا قَالَ آنِفًا [سورة محمد:١٦] ، ويتساءلون فيما بينهم عن تأثير آيات الله –عز

وجل– وزيادة الإيمان الحاصل بسماعها، أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا [سورة التوبة:١٢٤] ، فلا ينتفعون بشيء من ذلك بحال من الأحوال لوجود هذا الطبع على القلوب، ووصفهم هنا أيضاً بعدم الفقه لَا يَفْقَهُونَ

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤)

وإذا نظرت إلى هؤلاء المنافقين تعجبك هيئاتهم ومناظرهم، وإن يتحدثوا تسمع لحديثهم ؛ لفصاحة ألسنتهم، وهم لفراغ قلوبهم من الإيمان، وعقولهم من الفهم والعلم النافع كالأخشاب الملقاة على الحائط، التي لا حياة فيها، **كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ** الخُشب إنما ينتفع بها كعمود أو سقف أو نحو ذلك في شيء، أما إذا كانت مسنّدة فهي تحجز مكاناً من غير فائدة،

يظنون كل صوت عال واقعا عليهم وضارا بهم، لعلمهم بحقيقة حالهم، ولفرط جبنهم، والرعب الذي تمكن من قلوبهم، هم الذين تناهوا في العداوة لك وللمؤمنين، فخذ حذرك منهم، أخزاهم الله وطردهم من رحمته، كيف ينصرفون عن الحق أي ما هم فيه من النفاق والضلال؟

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٥)

وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: أقبلوا تائبين معتذرين عما بدر منكم من سيئ القول وسفه الحديث، يطلب لكم رسول الله من ربه أن يعفو عنكم، حركوا رؤوسهم استهزاء: واستكبارا، وأبصرتهم – يا محمد– يعرضون عنك، وهم مستكبرون عن الامتثال لما طلب منهم.

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦)

سواء على هؤلاء المنافقين أطلبت لهم المغفرة من الله- يا محمد- أم لم تطلب لهم، إن الله لن يصفح عن ذنوبهم أبدا ؛ لإصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر إن الله لا يوفق للإيمان القوم الكافرين به، الخارجين عن طاعته.

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧)

هؤلاء المنافقون هم الذين يقولون لأهل " المدينة " : لا تنفقوا على أصحاب رسول الله من المهاجرين حتى يتفرقوا عنه.

ولله وحده خزائن السموات والأرض وما فيهما من أرزاق، يعطيها من يشاء ويمنعها عمن يشاء، ولكن المنافقين لا يفهمون ذلك.

يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨)

القائل لهذه المقالة عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، وعنى بالأعز نفسه ومَن معه، والأذل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن معه ، ومراده القوة والغلبة بعد رجعوهم من تلك الغزوة غزوة بني المصطلق، فرد الله عليه فقال: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)

عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق قد أثر تأثيراً بالغاً في زرع الفتن، وإثارة الأحقاد بين المسلمين، بل لقد بلغ به الحد أن نال من النبي صلى الله عليه وسلم ومن عرضه،

قال جابر بن عبد الله -رضي الله تعالى عنهما- يقول: كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (ما بال دعوى الجاهلية؟!، دعوها فإنها منتنة)،

وقال عبد الله بن أبي بن سلول: وقد فعلوها،والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سَمِّنْ كلبَك يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من عنده من قومه وقال: هذا ما صنعتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها، فسمعها زيد بن أرقم –رضي الله تعالى عنه– فذهب بها إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وهو غليم عنده عمر بن الخطاب –رضي الله تعالى عنه–، فأخبره الخبر فقال عمر –رضي الله تعالى عنه–: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (دعه .. لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه).

فترك النبي صلى الله عليه وسلم قتله، فانبرى ابنه عبد الله ، وكان رجلاً مسلماً صادقاً – عبد الله بن عبد الله بن أبي ، والله يخرج الحي من الميت– فقال لأبيه: والله لا تنقلب حتى تقر أنك الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز، ففعل رغماً عنه، حبسه على باب المدينة

جعل الله الزواج سكناً وأنساً بين الزوجين، قال تعالى: ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون"

ومن مقاصد الشريعة في الزواج: استقراره وحصول الوئام والألفة بين الزوجين..لما يترتب على ذلك من المصالح العظيمة، والفوائد الجليلة. وقد حرص الشارع الحكيم على تقوية أواصر المحبة ودفع الأمور الجالبة للخلاف والفراق بين الزوجين قال الرسول صلى الله عليه وسلم" استوصوا بالنساء خيراً..." وقال " لايفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقاً رضى منها آخر" رواه البخارى ، وقال أيضاً" خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى"

ومن السنن الألهية وقوع المشاكل الزوجية فى البيت المسلم، حتى بيت النبوة لم يسلم من ذلك لحكم ربانية ، ولكن الله عز وجل وضع منهجاً رائعاً فى التعامل مع المشاكل والخلافات بين الزوجين

والتفريق بين الزوجين من أعظم ما يفرح به أبليس عند بعثه سراياه كما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه الإمام مسلم قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الماءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فِي النَّاسِ فَأَقْرَبُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ مَا زِلْتُ بِفُلاَنٍ حَتَّى تَرَكْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولَ إِبْلِيسُ لاَ وَاللَّهِ مَا صَنَعْتُ شَيْئاً. وَيَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ. قَالَ فَيُقَرِّبُهُ وَيُدْنِيهِ (ويلتزمه) وَيَقُولُ نِعَمَ أَنْتَ» رواه مسلم

الطلاق إنما أذِن وشرعه للحاجة الملحَّة إلى ذلك، إن الله شرع الطلاق حلاً أخيراً بعدما تفشل كل الحلول لحسم النزاع وبقاء بيت الزوجية، فهو كالدواء الذي يستعمل عند الحاجةوهذا الطلاق من أبغَض الحلالِ إلى الله كما قال : ((أبغضُ الحلال إلى الله الطلاق))، وتوعّد المرأةَ المسلمة حينما تطلب الطلاقَ من زوجها بلا سببٍ يقتضيه، فيروَى أنّه قال: ((أيما امرأةٍ سألت زوجَها الطلاقَ في غير ما بأس فحرامٌ عليها رائحة الجنة)).

خطورة التساهل في الطلاق:

أَعْظَمَ مَا يُهَدِّدُ الْحَيَاةَ الزَّوْجِيَّةَ: التساهل بأمر الطَّلَاقُ، ومن صورِ التهاونِ في أمرِ الطلاقِ: **الحلفِ بالطلاقِ**؛ فما أكثرَ ما تسمعُ من أحدِهم قوله : "عليَّ الطلاقُ" عندَ تأكيدِه لأمرٍ؛ أو نفيِه له؛ أو حثٍّ عليه؛ أو منعٍ منه، وبعضُهم يقولُ: عليَّ الطلاقُ بالثلاث!

من صورِ الاستهانةِ بالطلاقِ: **تهديدَ المرأةِ به عندَ كلِّ عارضٍ،**

أسباب الطلاق:

١- عدم وضوح أهداف الزواج ومعنى الحياة الزوجية. بمجرد الزواج سيجد امرأة على مقاييسه ومواصفاته، فإذا لم تكن كذلك فكر في الطلاق قَالَ رَسُولُ: "لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ".

٢- عدم تهيئة الزوج و الزوجة من قبل الوالدين قبل الزواج.

٣- سوء الاختيار.

٤- الغضب.

٥- وسائل الإعلام

٦- الجهل بأحكام الطلاق.

إن المتأمل في الشريعة الإلهية وكيف عالجت المشكلات الزوجية بين المرء وزوجه لَينبهر بدقة التشريع الإسلامي في هذا الشأن، ولربما أصابته الدهشة من إغلاق جميع المنافذ التي تؤدي للطلاق وتأخيرها وإعطاء أكثر من فرصة للزوجين ليراجعا نفسيهما قبل الإقدام على مثل هذه الخطوة نظرًا لخطورتها وتسببها في كثير من المشكلات التي يظهر أثرها فيما بعد على الأسرة بشكل خاص زوجًا وزوجة وأبناءً،أما إن وصل الزوجان لطريق مسدود، ولم يكن هناك بد من الطلاق، فإن هناك عدة تدابير أخرى ومزيدًا من الفرص التي يمنحها الله تعالى بحكمته للزوجين ليعيدا التفكير في مغبة الإقدام على هذه الخطوة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَة ﴾

- لا يجوز الطلاق حال حيض المرأة حتى لا تطول عليها فترة العدة، فإن كانت حائضًا انتظر الزوج حتى تطهر ثم يطلقها طلقة واحدة، وفي ذلك أيضًا فرصة إضافية للتفكير الجاد،
- ولا يجوز كذلك تطليقها في طهر جامعها فيه زوجها، بل ينبغي أن ينتظر حتى تحيض ثم تطهر ثم يطلقها،
- وإذا طلقها طلقة رجعية فإنها لا تدع بيت الزوجية، وإنما تظل فيه، فلعل زوجها يراجعها فتعود إلى عصمته
- إن الله تعالى لم يشرع الطلاق مرة واحدة فقط، وإنما شرعه ثلاثًا، فلعل المدة التي يقضيانها بعيدين عن بعضهما وعن الأبناء،﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [النساء:٢٢٩]

﴿ **يأيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ** ﴾ [الطلاق: ١]، يعني طلقوهن وهن طاهرات من الحيض من غير أن يحصل جماع في هذا الطهر. فبين سبحانه في الآية الأولى العدد المشروع في الطلاق وهو طلقة واحدة. وبين في الآية الثانية الوقت الذي يجوز فيه الطلاق، وهو وقت الطهارة من الحيض بشرط أن لا يكون قد جامعها في هذا الطهر. فتبين بهذا أنه **يحرم على الزوج أن يطلق زوجته ثلاثاً**، لأن هذا يسد عليه باب الرجعة، وأنه **يحرم عليه أن يطلقها وهي حائض**، لأن هذا يطيل العدة على الزوجة، **ويحرم كذلك تطليقها في طهر جامعها فيه**، لأنها ربما تكون قد حملت فيشتد ندمه ويكثر الضرر. وبهذا يتبين أن الشارع أباح الطلاق في حال الحاجة إليه ووضع له نظاماً يجعله لا يقع إلا في أضيق الحدود، بحيث لا يحصل منه ضرر على أحد الطرفين.

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٠)

(**يوم يجمعكم ليوم الجمع**) وهو يوم القيامة ، سمي بذلك لأنه يجمع فيه الأولون والآخرون في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، كما قال تعالى : (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) هود : ١٠٣ وقال تعالى : (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم)

روى مسلم في صحيحه من حديث المقداد بن الأسود– رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله– صلى الله عليه وسلم – يقول: "تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ"، قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ، قَالَ: "فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا"، قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ– صلى الله عليه وسلم – بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ

وقال النبي صلى الله عليه وسلم مبيناً الشدة في ذلك اليوم وما يصيب الناس، فيذهبون إلى الأنبياء، نبياً بعد نبي، قال عليه الصلاة والسلام: (يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيدٍ واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعضٍ: ائتوا آدم، فيأتون آدم..)

وتلك الرؤية تحدث "حينما ينادي المنادي: يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحيَّ على زيارته، فيقولون: سمعاً وطاعةً، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا النجائب قد أُعدَّت لهم، فيستوون على ظهورها مسرعين حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جُعل لهم موعداً، وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحداً؛ أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنُصب هناك، ثم نُصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، وجلس أدناهم وحاشاهم أن يكون فيهم دنيء على كثبان المسك، وما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا.

حتى إذا استقرت بهم مجالسهم، واطمأنت بهم أماكنهم؛ نادى المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا عن النار، فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة، فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله، وتقدست أسماؤه؛ قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة: سلام عليكم، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم، ويقول: يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعونه منه تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني، فهذا يوم المزيد؟

فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي هذا يوم المزيد فاسألوني.

فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه، فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة، حتى أنه ليقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا – يذكِّره ببعض غدراته في الدنيا –، فيقول: يا رب ألم تغفر لي، فيقول: بلى، بمغفرتي بلغت منزلتك هذه.

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة، ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ}(القيامة:٢٢-٢٥)"٧

والله لولا رؤية الرحمن في الجنات ما طابت لذي العرفان

أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه وخطابه في جنة الحيوان

وأشد شيء في العذاب حجابه سبحانه عن ساكني النيران

وإذا رآه المؤمنون نسوا الذي هم فيه مما نالت العينان

فإذا توارى عنهم عادوا إلى لذاتهم من سائر الألوان

فلهم نعيم عند رؤيته سوى هذا النعيم فحبذا الأمران

أوما سمعت سؤال أعرف خلقه بجلاله المبعوث بالقرآن

شوقاً إليه ولذة النظر الذي بجلال وجه الرب ذي السلطان

الشوق لذة روحه في هذه الـ ـدنيا ويوم قيامة الأبدان

تلتذ بالنظر الذي فازت به دون الجوارح هذه العينان

والله ما في هذه الدنيا ألذ من اشتياق العبد للرحمن

(**ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ**) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هو اسم من أسماء يوم القيامة، وذلك أن أهل الجنة يغبنون أهل النار،وقال مقاتل بن حيان: لا غبن أعظم من أن يُدخل هؤلاء إلى الجنة، ويُذهب بأولائك إلى النار.

هذا يوم التغابن وهو يوم القيامة، حين تغبن في سيارة أو في أرض أو في عمارة بمائة ألف أو بمليون أو أكثر أو أقل هذا غبن، لكنه يسير بالنسبة إلى من غبن يوم القيامة وصار إلى النار، نعوذ بالله من هذا المصير، هذا هو الغبن: أن ترى خادمك وجارك وابن عمك إلى الجنة،

الغبن الواقع في الآخرة هذه صورة من صوره، ومما يدخل تحت تفصيل هذا ما جاء في بعض الأحاديث الصحيحة من أن لكل إنسان مقعدين، مقعد في الجنة، ومقعد في النار، فإذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ ودخل أهل النارِ النارَ قيل لمن في الجنة: هذا مقعدك من النار لو أنك عملت بغير طاعة الله –عز وجل–، ويقال للآخر: هذا مقعدك من الجنة لو أنك عملت بطاعة الله –عز وجل–([٥])، فأهل الجنة يتوارثون مقاعد أهل النار من الجنة، وأهل النار زيادة على مقاعدهم يتوارثون مقاعد أهل الجنة في النار، فكون هذا الإنسان يفقد منزله في الجنة، ويرث منزل غيره من النار فلا شك أن هذا من أعظم الغبن.

المؤمن فيظهر له خسرانه في بعض الأوقات التي مرت عليه ولم يستفد منها طاعة الله –عز وجل–، فإذا كان المؤمنون في الآخرة يتحسرون على ساعة مرت بهم لم يذكروا فيها اسم الله تعالى، فكيف تحسر من أنفق أياماً وشهوراً وسنيناً في معصية الله؟ وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم

وكذلك ما ذكره الحسن البصري –رحمه الله– قال: "الغبن في ثلاث: رجل علَّم علماً، علم غيره فانتفع من تعلم منه وعمل بهذا العلم فنجا ودخل الجنة، ولم يعمل هو بعلمه فدخل النار، ورجل اكتسب مالاً من وجوه يُسأل عنها ثم تركه لوارث فأنفقه وارثه في طاعة الله –عز وجل– فدخل الجنة، وأما هو فحوسب على عمله وعذب على ماله؛ لأنه اكتسبه من غير وجه يحل، ورجل مملوك عمل بطاعة الله –عز وجل– وقام بحق سيده فدخل الجنة، وأما سيده فضيع حق الله فدخل النار".

عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيّ – رضي الله عنه –: أنَّ النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – قال: ((يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبشٌ أَمْلَحُ – زاد أبو كُرَيْب: فيُوقَفُ بين الجنَّة والنَّار – فيُقال: يا أهل الجنَّة، هل تعرفون هذا؟ فيَشْرَئِبُّون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموتُ))، قال: ((ويُقال: يا أهل النَّار، هل تعرفون هذا؟ قال: فيَشْرَئِبُّون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت))، قال: ((فيُؤمَر به فيُذبَح))، قال: ((ثم يُقال: يا أهل الجنة، خلودٌ فلا موت، ويا أهل النَّار، خلودٌ فلا موت))، قال: ثم قرأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (({وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [مريم: ٣٩]))،

زاد مسلمٌ ((فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم))وفي رواية الترمذي: ((فلو أنَّ أحدًا مات فرحًا، لمات أهل الجنَّة، ولو أن أحدًا مات حزنًا، لمات أهل النَّار))

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: ٨].

الله قد أوجب التوبة على عباده المؤمنين، فقال تعالى: وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)النور:٣١، وقال : وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ [هود:٣].

وقد أمر النبي بالتوبة والاستغفار .كما عند مسلم في صحيحه. فقال: ((يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة))، وفي رواية أخرى عند البخاري قال : ((والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)). فهذا رسول الله الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة، فكيف بمن دونه من الناس؟!

وللتوبة فضائل جمة وأسرار بديعة:

فمن ذلك أنها سبب الفلاح: وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [سورة النور: ٣١] .

وسبب لمحبة الله: إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ [سورة البقرة: ٢٢٢] .

وسبب لدخول الجنة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ [سورة التحريم: ٨] .

وهي سبب تبديل السيئات حسنات قال سبحانه: إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا [سورة الفرقان: ٧٠] .

إنها تمحو الذنب حتى يغدو (التائب من الذنب كمن لا ذنب به) حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٠٠٨) كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

إنها سبب دعوة الملائكة: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ [سورة غافر: ٧] .

قال خلف بن هشام البزار: "كنت أقرأ على سليم بن عيسى، فلما بلغت هذه الآية: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوابكى، ثم قال: يا خلف ما أكرم المؤمن على الله نائم على فراشه، والملائكة يستغفرون له" [تفسير القرطبي (١٥/٢٩٥)].

إن التوبة سبب للمتاع الحسن: وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً [سورة هود: ٣] .

والله يفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: (لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها؛ قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك؛ أخطأ من شدة الفرح) رواه مسلم [رواه مسلم برقم (٢٧٤٧)]، وهذا يدل على فرح الرب بتوبة العبد، وأنه سبحانه وتعالى يحب ذلك محبة عظيمة مع كونه سبحانه وتعالى مستغنياً عن العباد، ولكن لمحبته للعفو، وهو الكريم، فإنه يفرح بتوبة الإنسان.

حقيقة التوبة وشروطها

وكما أن لكل عمل من الأعمال شروطًا ليقبل عند الله، فإن للتوبة شروطًا كذلك، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا [التحريم:٨] أي: توبة صادقة، ولتكون التوبة توبة نصوحًا كما قال تعالى وتكون مقبولة وصحيحة يجب أن يتوفر فيها شروط

والتوبة من الذنب على حالتين، الحالة الأولى: **إذا كان الذنب بين العبد وبين ربه سبحانه؛** ففي هذه الحالة للتوبة ثلاثة شروط:

١- الإقلاع عن المعصية؛

٢- الندم على فعلها؛ أن تشعر بالحزن على فعلك لتلك المعصية، وتتمنى أنك لم تفعلها، قال عليه الصلاة والسلام: ((الندم توبة)).

٣- العزم على عدم الرجوع إلى ذلك الذنب

وأما الحالة الثانية: **إذا كان الذنب بين آدمي وآدمي آخر؛** ففي هذه الحالة يجب أن يبرأ التائب من حق صاحبه؛ أي: أن تبرأ من حق صاحبك الذي اعتديت عليه، فلا بد من أن يتحلل منها صاحباها، ويرد المظالم إلى أهلها وإلا فهو على خطر عظيم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طُرح في النار))

(من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها ؛ فإنه ليس ثم دينار ولا درهم)

و يضاف اليهم شرطا خامسا **وهو أن تكون التوبة وقت قبول التوبة:**

فإن كانت في وقت لا تقبل فيه لم تنفعه، وذلك نوعان: نوع خاص، ونوع عام.النوع الخاص: إذا حضر الإنسان أجله فإن التوبة لا تنفع،لقول الله تعالى: (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً)(النساء: الآية١٨)

ولما غرق فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين فقيل له: (آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (يونس:٩١)

وأما العام: فهو طلوع الشمس من مغربها، فإن الشمس تشرق من المشرق وتغرب من المغرب، فإذا طلعت من المغرب آمن الناس كلهم، ولكن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : "لاَ تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوبَةُ حَتَّى تَخْرُجَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا" أخرجه أبو داود وأحمد

فمن أعظم أسباب المغفرة أن العبد إذا أذنب ذنبًا لم يرجُ مغفرَتَه من غير ربه، ويعلم أنه لا يغفر الذنوبَ ويأخذ بها غيره، وقوله: ((إنك ما دعوتَني ورجوتَني، غفرتُ لك ما كان منك ولا أبالي))

يا رَبِّ إن عظُمَتْ ذنوبي كثرةً فلقَدْ علمْتُ بأن عفوكَ أعظمُ إن كان لا يرجوكَ إلا مُحسِنٌ فمن ذا الذي يدعو ويرجو المجرِمُ؟ ما لي إليك وسيلةٌ إلا الرَّجَا وجميلُ عفوِك، ثُمَّ أنيَ مسلمُ

وفي الصحيحين عن عبدالله بن عمرو أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله، علِّمْني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: ((قل: اللهمَّ، إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني؛ إنك أنت الغفور الرحيم)).

وعلى كل مذنب أن يتوب، ولو كان يكرر الوقوع في الذنب، فإنه لو تاب من كل ذنب توبة صحيحة تاب الله عليه، كما دل عليه حديث: (أذنب عبد ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب...الحديث) رواه مسلم [رواه مسلم برقم (٢٧٥٩)].

وقيل للحسن رحمه الله: "ألا يستحي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه، ثم يعود، ثم يستغفر، ثم يعود؟" كأن السائل يقول: لا فائدة من توبة هذا، فقال الحسن رحمه الله: "ود الشيطان لو ظفر منكم بهذا؛ فلا تملوا من الاستغفار"

يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

هذا الدعاء النافع جاء ذكره في كتاب اللَّه العزيز الحكيم من دعاء المؤمنين في يوم القيامة حين ينطفئ نور المنافقين، (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣)) (سورة الحديد)

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه اللَّه: ((حين يسعى المؤمنون يوم القيامة بنور إيمانهم، ويمشون بضيائه، ويتمتعون بروحه وراحته، ويشفقون إذا طفئت الأنوار، التي تعطى المنافقين، ويسألون اللَّه تعالى أن يُتمِّمَ لهم نورهم، فيستجيب اللَّه دعوتهم، ويوصلهم بما معهم من النور واليقين، إلى جنات النعيم، وجوار الرب الكريم، وكل هذا من آثار التوبة النصوح)

وهذا النور على قدر نور أعمالك في الدنيا، فالجزاء من جنس العمل، فقد جاء عن عبد اللَّه بن مسعودرضى الله عنه عن قوله تعالى: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ((قَالَ: يُؤْتَوْنَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، يَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، مِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ الْجَبَلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ النَّخْلَةِ، وَأَدْنَاهُمْ نُورًا مَنْ نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِهِ يُطْفَأُ مَرَّةً، وَيُوقَدُ أُخْرَى))